مجلة الحوليات السورية ١٩٦٠
المجلد ١٠
تل خويرة ص ٧١ – ص ٨٦

تل خويرة

تقرير مبدئي عن حفريات مؤسسة (فون اوبنهايم)

في شمالي الجزيرة سنة ١٩٥٨

بقلم (آنطون مورتغات)   تعريب : كامل عياد

إذا كانت مؤسسة وقف البارون (ماكس فون اوبنهايم) قد استطاعت أن تحقق بالفعل ماسبق أن صممت عليه أثناء حملة تنقيبية سابقة وتقوم خلال الاشهر أيلول ، تشرين الأول وتشرين الثاني من سنة ١٩٥٨ بالحفريات على (تل خويرة) في شمالي سوريا ، فذلك إنما بفضل ماحظيت به من أنواع المساعدة والمساهمة سواء في ألمانيا أو سوريا . ويرجع الفضل بالدرجة الاولى الى جهود البارون (ماتوشكا - غرايفنقلاو) والسيدين المدير (شنايدر) والاستاذ الدكتور (ورنر كاسكل) في الحصول على رخصة التنقيب من حكومة الجمهورية العربية المتحدة وفي اعداد الوسائل المالية . وقد اشتركت (جمعية البحوث لمقاطعة نوردهاين - وستفالن) ثم (الجمعية الألمانية للبحوث) بمبالغ كبيرة ، الأمر الذي نذكره هنا مع الشكر .

كذلك نشكر السيد الدكتور (سليم عبد الحق) ، المدير العام للآثار في الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة (سوريا) على السماح لنا باستئناف التنقيبات الأثرية على (تل خويرة) ، التي كانت الحكومة السورية قد باشرت بها في سنة ١٩٥٥ تحت إشراف السيد (ج . لوفريه) ، وقد تفضل السيد (فيصل الصيرفي) ، مدير متحف حلب فساعدنا بكل الوسائل عند تهيئة لوازم البعثة . أما السيد (صبحي الصواف) الذي ألحق بنا من قبل مديرية الآثار لمراقبة الحفريات كمندوب عن

الحكومة فقد برهن على روح التضحية وشارك ، كسائر أعضاء البعثة ، في كل ماتحملناه من متاعب ومشقات كما إنه قدم لنا معونة لايستغنى عنها عند انتقاء عمال الحفريات وحل مشاكل سكناهم وإعاشتهم .

وبالإضافة الى المساعدين المجربين الذين كانوا قد اشتركوا معي في الحملتين السابقتين سنة ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وهم السيدة الدكتورة (اورسولا مورتغات - تورنس) والسيد الدكتور (بارتل هرودا) والسيد المهندس (هـ . شميدت) فقد انضم في هذه المرة المدرس الدكتور (رولف هاخمان) ، الاختصاصي في عصور ما قبل التاريخ والمنقب المجرب ثم المهندس المعماري (راينر موالر) ، ومن المؤسف أن ظروفاً شخصية قد حالت دون اشتراك الاستاذ الدكتور (هاينيريخ اوتن) ، الذي كان مقرراً أن يأتي بعد انتهاء الحفريات في (بوغاز كوي) بتركيا الى (تل خويرة) ، بصفته اختصاصياً في اللغات .

لم يمكن الحصول على الرخصة الخاصة بالسفر الى المنطقة العسكرية في الجزيرة لجميع أعضاء البعثة الا بعد اقامة مدة عشرة أيام في دمشق ، ولذلك لم نستطيع السفر الى حلب الا يوم ١٩ أيلول ١٩٥٨ . وفي ٢٣ ايلول وصلت تجهيزاتنا كلهـا الى (تل خويرة) ، وفي ٢٤ ايلول اتجهنا نحن أنفسنا الى هناك عن طريق (الرقة) ، حيث جمعنا القسم الأول من العمال للقيام بالحفريات . وكان أكثر هؤلاء من الحورانيين العـاطلين عن العمل الذين سبق استخدامهم في حفريات (الرصافة) . وبين يوم ٢٥ و ٢٨ ايلول تم بناء المخيم على (تل خويرة) [أنظر الصورة رقم (١) في آخر المقال بالقسم الغربي من المجلة] ، ونظمت طريقة جلب المياه والمواد الغذائية كما شاهدنا مكان الأطلال والأراضي المجاورة وحددنا المواقع التي يجب أن يبدأ فيهـا السبر . وفي الصباح الباكر من يوم ٢٩ أيلول بدأت الحفريات التي اشترك فيها (٦٠) من العمال ثم ارتفع عدد العمال بعد ذلك الى (١٢٠) و (١٥٠) . وكنا نجمع هؤلاء العمال في بادي الأمر من بين العاطلين عن العمل في الرقة ثم بين البدو المقيمين في ضواحي (تل خويرة) .

يقع (تل خويرة) [أنظر الصورتين رقم ٢ - ٣] بين (الخابور) و (بليـخ) ، الوافدين الكبيرين للفرات الأوسط ، في منتصف الطريق تقريباً بين مدينتي (رأس العين) و (تل أبيض) وعلى بعد حوالي (١٠ كم) فقط الى الجنوب من الحدود السورية - التركية . ويوجد مركز للدرك على بعد بضعة كيلو مترات الى الشمال بينما تتمركز شرطة البادية في (تل زيدة) الواقع

على بعد (١٠ كم) تقريباً الى الجنوب من (تل خويرة) . أما (مبروكة) ، وهي مركز السكن الحديث الذي أسسه السيد يعقوب النجار فتقع في اتجـاه الشرق على بعد حوالي (٢٥ كم) بالقرب من (تل أبو شيخات) . وتقوم السلطات الحكومية التي يتبعهـا (تل خويرة) من مدير منطقة وشرطة أمن ودائرة بريد وطبيب جميعاً في (رأس العين) التي تبعد حوالي (٦٠ كم) الى الشرق والتي كان يجب علينا أيضاً أن نستورد منها المواد الغذائية .

يسكن بالقرب من التل ، بل على القسم المنخفض منه في الجهة الجنوبية - الغربية قليل من البدو الذين تسعى الحكومة الى تحضيرهم ، وأكثرهم عرب ولكن بينهم أكراداً أيضـاً . وهم يحاولون استثمار الأرض الغضارية الخصبة في زراعة الحبوب بشكل ابتدائي أو برعي قطعان الغنم والمعز والإبل التي يتنقلون بهـا مسافات بعيدة من مكان الى آخر طلباً للماء . وبسبب الجفاف الشديد في خريف ١٩٥٨ اضطر هؤلاء البدو الى الانسحاب مع قطعانهم الجائعة الى (الشامية) وراء الفرات الأوسط . . .

لقد سبق للبارون (ماكس فون اوبنهايم) ، أثناء حفرياته على (تل حلف) في سنة ١٩١٣ أن أقام بجولة استكشافية الى تل خويرة ، الذي وضعه في مذكرات رحلته بأنه من الأطلال التي لها أهمية خاصة والتي تستحق أن يجري التنقيب فيها . ثم جاء قبل سنوات قليلة (ج . فان لير) الذي قام بأعمال المساحة واستعان بالتصوير من الطائرات واستطاع أثناء ذلك أن يلاحظ الصفة المميزة لهذا التل بسوره المزدوج وأبنيته الحجرية وحجمه الكبير وعلاقته بمجموعة من التلال الأثرية المماثلة . (راجع مجـلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد ٤ــ ٥) . ومن الواضح أن هذا هو السبب الذي كان قد دفع الحكومة السورية الى القيام بأعمـال السبر في سنة ١٩٥٥ .

على أنه منذ الزيارة الاستكشافية الأولى لأرض الأطلال الواسعة تبين لنا أن مخطط الخريطة الذي رسمه (فان لير) ، بالاستناد الى صور التل المأخوذة من الطائرة . والذي أشير فيه الى أمكنة الحفريات التجريبية التي أجراها (لوفريه) في سنة (١٩٥٥) - (وهذا المخطط لم يعرض حتى الآن سوى في متحف دمشق وحده) - لقد تبين أن هذا المخطط لا يشتمل على الأطلال كلها . فالتل ذاته ، وهو على شكل دائرة ذات سور مزدوج ، إنما يقع على الضفة الشرقية (من وادي خويرة) الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب ، وأما الضفة الغربية فتقوم عليها عدة أكمات صغيرة من الأطلال يمكننا بالإستناد الى ماظهر على سطحها من لقى

أن نستنتج بأنها كانت تؤلف ضواحي المدينة . وهذا القسم من الأطلال يطلق عليه اليوم إسم (تل خويرة الصغير) .

في الجهة الأخرى ، أي في الشرق من التل الأسامي ، معبد قديم واسع قائم على صخرة مسطحة . وهو أيضاً لابد أن يكون ضمن الأطلال المركزية التي يبلغ قطرها داخل السور حوالي كيلو متر واحد .

إن حجم الأطلال واتساعها وحدها يشيران إلى أهميـة هذا المكان . الا أن الكشف عن مثل هذه الأطلال يحتاج بدوره الى جهود كبيرة ووسائل كثيرة .

لقد كان من الطبيعي أن تقتصر حفرياتنا ، في باديء الأمر ، على مساحة صغيرة بالنسبة إلى اتساع مجموع الأطلال . وإذا صرفنا النظر عن بعض الأعمال التافهة فإن حفرياتنا قد استهدفت ثلاثة أمكنة (١) مايسمى (البناء الخارجي) وهو يقع خارج المدينة على بعـد حوالي (١٠٠ م) الى جهة الشرق (٢) البناء الحجري رقم (١) مع جواره ، وهذا البناء يقع في القسم الشرقي من الأطلال الداخلية ، وإلى الشمال من الهوة الكبيرة التي تخترق الهضبة الداخلية كلها من الشرق إلى الغرب (٣) مجموعة الأبنية التي أطلق عليها مؤقتاً إسم « المنشئات الجنوبية » وهي عبارة عن امتداد لمكان السبر رقم (٣) عند (لوفربه) ، الواقع الى الجنوب من البناء الحجري رقم (١) ومن الهوة الشرقية — العربية المذكورة آنفاً . أما الحفريات عند السور التي أقدمنا عليها في الجنوب مباشرة من مخيمنا القائم على السور الخارجي فلم تكن سوى (عملية نكش) بسيطة دفعنا إليها العثور على بعض اللقى بمجرد المصادفـة . وقد أدت الى استخراج كمية من الأواني الفخارية الهامة .

كذلك يجب الملاحظة بأن بقايا الأسس من الكتل الحجرية الثقيلة غير المنتظمة الظـاهرة فوق سطح الأرض لاتوجد في الجهة الشرقية من الهوة فحسب ، بل نشاهـد أيضاً في عدة أمكنة أخرى مثل الجـانب الغربي من الهضبة المركزية ، حيث ينتظر أن يعثر على أحـد أبواب المدينة .

١ — البناء الخارجي مع الشارع المسلات :

إن الأمر الذي استلفت انتباهنا منذ باديء الأمر الى مكان البناء الخارجي ، هو دون شك ، العدد الكبير من الألواح الحجرية ، المنحوتة ولو بصورة غـير منتظمة والتي يتراوح

ارتفاعها بين مترين وثلاثة أمتار والتي ما زال بعضها قائماً في موقعه الأصلي ضمن صفين على جانبي شارع يبلغ طوله (٧٠ م) تقريباً . (أنظر الصورة رقم ٤) إن هذا الشارع يتجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . الا أننا لم نعثر على أوله ولا على آخره ، ولذلك لم ندرك المقصود منه .

كانت المسلات مغروزة في الأرض الى عمق (٥٠ سم) تقريباً ، وكان الشارع مبلطاً بينها بحجارة صغيرة مسطحة من فوقاً ومسننة من تحت ؛ بل إن البلاط كان يمتد في الجانبين إلى أبعد من عرض الطريق .

إن المسلات التي انكسر أكثرها ووقع على الأرض في الوقت الحاضر ، عبارة عن ألواح حجرية غير منتظمة يضيق عرضها من فوق ولا يشاهد عليها ، في حالتها الحاضرة على الأقل ، أي أثر للكتابة أو النقش . وهي أيضاً لم تكن منصوبة على أبعاد منتظمة تماماً . ولعل وزنها يبلغ عدة أطنان ، ولذلك لم يمكن رفعها واعادة نصبها . على أن مسلة واحدة ، وهي مازالت قائمة اليوم ، وإن كان رأسها قد انكسر ، ليست على شكل لوح بل لها مقطع مثلث . (انظر الصورة رقم ٥) . وبينما ترك الجانبان الخلفيان من المسلة في حالة خشنة نرى الجانب الثالث المتجه نحو الشارع قد صقل وتشاهد عليه ارتفاعات وانخفاضات تبدو كأنها نقوش تأكلت وزالت . وفي ضوء أشعة الشمس الجانبية من ناحية الجنوب الشرقي يخيل الى الناظر كأنه يميز قامة بشرية في موقف التحية . ولكن من الممكن أن ينشأ ذلك عن مجرد المصادفة . .

اذا اتجهنا من هذه المسلة الى ناحية الجنوب الغربي تقريباً للشارع فإننا سرعان مانشاهد كتلاً حجرية تبرز من الأرض وتؤلف خطاً مستقيماً . وقد استندنا الى هذه الحجارة عند الكشف عن معبد يقع بالقرب من شارع المسلات . وهنا نجد أنفسنا في منطقة صخرية منخفضة ذات سطح طبيعي قد سوي ليكون أساساً لمجموعة كبيرة من البناء . ولابد أن تكون الأبنية قد تهدمت ونهبت في وقت قديم سابق لسنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد . إن طبقة الركام التي تغطي المكان رفيعة نسبياً ، الامر الذي يساعد على الكشف عن الآثار ولكن ينتج عنه ، من جهة ثانية ، ضرر كبير ، إذ يمتد التخريب حتى أعماق الأسس .

على بعد (٥٠ م) تقريباً الى الجنوب الغربي من شارع المسلات كانت بوابة يدخل منها الى الحرم المقدس . (انظر الصورة رقم (٦) . وهذه البناية تتألف من حجرتين يربط بينهما

طريق مبلط بالحصى . إن هذا النوع من الأبواب أقرب الى أمثاله الكنعانية منه الى السومرية _ الآكادية . ويبدو أن الباب كان يخترق جداراً من الآجر ولكن لم يمكن العثور على أي أثر منه الى اليمين أو الشمال من بناية الباب . عوضاً عن ذلك قد وجدت على بعد (٥٠ م) الى الجنوب الغربي بقايا حائط يحتمل أن يكون جزءاً من سور البلد . وبينما لم تكشف لنا مقاطع السبر العديدة التي حفرناها بين الباب وشارع المسلات مبلطة بالحصى ؛ وهي تربط من الوجهة المعمارية بين بناية البـاب وبين بناءِ المعبد الأسامي . وهذا البناءِ عبـارة عن بيت مستطيل مع أروقة أمامية الى ناحية الشمال ـ الشرقي . ولكن لم يبق من هذا البناءِ سوى الأسس المكونة من كتل حجرية غير منتظمة . وتمتد الباحة البيضوية المبلطة حتى أروقة المعبد . وقد عثر بالقرب من الباحة مباشرة على صهريج يصل في عمقه حتى الصخور ، كان بالتأكيد يحفظ الماء للمعبد . ومن المؤسف أن عتبة باب المعبد لم يمكن تمييزها فوق الأساس ، ولكن لابد أنها كانت في وسط الأروقة . وقد وجدت عند الرواق الشرقي بقايا أسس حجرية صغيرة لابد من أنه كان يقوم عليها بناء إضـافي مستحدث . وليس من المؤكد أن المعبد كان في داخله عبارة عن صحن طويل ، كما يتناسب مـع الأروقة ، لأن هناك أسساً جانبية تتفرع الى الداخل في وسط الجدران وهي تشير الى أن المعبد كان مقسماً الى حجرة أمـامية والى صحن داخلي .

وقد قمنا بحفر ثلاثة مقاطع طويلة عبر المكان كله ، أحدها من الشمال الى الجنوب والإثنان الآخران من الشرق الى الغرب في سبيل معرفة نشأة المعبد . واذا صرفنا النظر عن الطبقـات العميقة الممتدة فوق الصخور والمكونة من الحجارة الصغيرة المكسـورة أو من الطين يمكن ان يميز بين دورين من أدوار البناء ، إذ يبدو أنه كان فوق طبقة الطين في بادىء الأمر بنـاء تحتاني من اللبنات الكبيرة مع حزام من القطـع الحجرية طلي الطرف العلوي منه بالجص من كل الجوانب . وبعد أن عفي هـذا البناء وتفتت زواياه أضيفت اليه من جديد طبقـة ثخينة من الجص ثم أقيم فوقه أســاس آخر من الكتل الحجرية الكبيرة . وعلى كل حال فإن طبقة الجص الثخينة التي تغطي أرض المعبد كلهـا تمتد حتى تحت الطبقة العليا من حجـارة الاساس الكبيرة .

وقد ظهرت في الجنوب الشرقي من البناء الأسامي آثار يمكن الاستنتاج بأنهـا بقايا سياج من القصب والطين . هنا كانت تقع منطقة تشاهد على بلاطها أخاديد مصنوعة من الجص أو من

سقف الأواني الخزفية . وأكثر هذه الاخاديد مدورة الشكل ولكنها أحيانا مستطيلة أيضـا] . (الصورة رقم ٧) وقد وجدت بالقرب منها بقايا أواني البخور الخزفية ممـا يبرهن على أنه كانت لها علاقة بطقوس تقديم القرابين .

وأخيراً ظهرت بقايا بناء آخر أصغر حجماً بالجنوب الغربي من المعبد حيث تأخذ الكتلة الصخرية في الانحدار ويقل ارتفاع الطبقات الأثرية القائمة . وبسبب شدة التخريب أو النهب في هذا المكان كان من الصعب جداً جمـع هذه البقايا والاستفادة منها للكشف عن أساس مترابط . وأبرز عنصر ظل محفوظاً هو الدرج المكشوف الذي يصعد منه الى البنـاء . وهو يذكرنا بدرج مشابه له أمام البهو (١٣٢) في قصر (زيرمليم) في (مـاري) ، الذي ذهب البعض الى أنه مكان للطقوس . (أنظر : آ. بارو ، البعثة الاثرية في ماري II) على أن هذه المقارنة لاتفيدنا كثيراً . فإن هناك وراء الدرج باب مع حجرتين مثلما هي الحال مـع باب البناء الاساسي . وربما كان يوجد هنا أيضاً مـكان مستطيل . والى الجنوب من ذلك نلاحظ حدود البناء التي يشير اليها البلاط من الحصى . وربما كان يوجد في داخل البناء أرضية خشبية ، كما تدل على ذلك ثقوب العضـائد الخشبية المختلفة الالوان . وتحت هذه الارضية يجب أن تكون قد وجدت أرضيه قديمة من الجص . .

لم يظهر أي أثر للكتابة في منطقة البناء الخارجي كلها . وحتى عندما رفعنا زاوية الاساس الجنوبية ـ الغربية التي كانت لاتزال قائمة أملاً في العثور ضمنهـا على وثيقة التأسيس ، ظلت النتيجة مع الاسف سلبية . على الرغم من ذلك لايمكن الشك في أن المعبد كله يرجع تاريخه الى النصف الثاني من الالف الثالثة قبل الميلاد . فقد ظهرت في كافة أقسام المعبد لقى صغيرة من الخزف والبرونز التي يستدل من شكلها وطريقة صنعها على أنها تعود بالتأكيد الى المرحلة بين السلالة الآكادية وسلالة (اور) الثالثة . وممـا يسترعي الانظار خـاصة أواني الشرب الكثيرة غير الملونة والمدورة بقواعدها المقببة (الصورة رقم ٨) ثم الاباريق الكروية البطن مع العنق القصير (الصورة رقم ٩) ، وكلها من الخزف الذي عثر على نماذج منه في الطبقات الآكادية من (تل ايلون) ، هذا الخزف المعروف أيضاً في جنوب البلاد منذ زمن طويل . كذلك بقايا المباخر المكسورة التي وجدت في منطقة البناء الخارجي تؤكد هذا التحديد التاريخي ، ومثلها نماذج عديدة من إبر الثياب المصنوعة من النحاس برأس مقبب وثقب في العنق (الصورة رقم ١٠) ويصعب التمييز بين هذه النماذج والقطع المشابهة لها من (تل العمارنة) .

إن الأهمية الهامة للبناء الخارجي مع شارع المسلات في تل (خويرة) لا ترجع فقط الى أنه يكشف لنا لأول مرة عن أجزاء من الأوابد المعمارية التي لم يكن يعرف حتى الآن شيء منها في هذه المنطقة ، بل كذلك الى أننا هنا نجابه آثاراً يجب علينا ، حسب جمع الدلائل ، أن نربط بينها وبين مملكة (الحوريين) القديمة في عهد (الآكاديين) وسلالة (اور) الثالثة ، هذه المملكة التي عرفناها من لوحة (سامرا) ومن وثيقة البناء في سهل (تيشا) . والبناء الخارجي في (تل خويرة) تزداد أهميته اذا لاحظنا أنه يقع خارج المدينة وأنه ينبغي لذلك أن يكون مماثلاً لبيت (عيد رأس السنة) السومري - البابلي الذي يطلق عليه (بيت اكيتو) .

٢ - البناء الحجري رقم (١) ورقم (٢) :

في القسم الجنوبي - الشرقي من الأكمة الداخلية والى الشمال من الهوة الممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي مازالت بقايا هامة من الجدران الحجرية بارزة حتى اليوم . وقد سبق أن حاول (لوفريه) تكوين فكرة واضحة عن أضخم كتلة من هذه الأطلال (أنظر الصورة رقم ١١) ، وهي التي تقع في أقصى مكان من الناحية الشمالية الغربية . لهذه الغاية حفر (لوفريه) عند الحافة الخارجية من الجدار الجنوبي - الشرقي الى عمق عدة أمتار فعثر على الكثير من الكسر ، ولكنه لم يستطع بوسائله القليلة ان يصل الى أساس البناء ، ناهيك عن تحديد ماهيته .

ونحن أيضاً لم يكن في إمكاننا أ كثر من الكشف عن جزء صغير من البناء بالنظر الى ضخامة القطع الحجرية والى اتساع المنشئات إذ تبلغ مساحة البناء الحجري رقم (١) أ كثر من (٢٥ م) طولاً في (١٠ م) عرضاً . الا أننا استطعنا على الأقل أن نتأكد من أن جميع الأسس الحجرية - التي مازالت تشاهد حتى اليوم هنا في الجنوب الشرقي من الأكمة - لاتؤلف جداراً متصلاً للتحصين ، بل انما تقوم عليها وحدات مستقلة من الأبنية . وعلى كل حال فإن الأقسام التى كشف عنها من البناء الحجري رقم (٢) الواقع الى الشرق من البناء الحجري رقم (١) تدل على ان الجدران الحجرية ليست متصلة بصورة موازية للهوة الكبيرة في الأكمة الداخلية . ولكن يبدو أن البناء الحجري رقم (١) يؤلف وحدة كاملة لها باب في الجدار الجنوبي - الغربي .

إن التنقيب في هذين البنائين لا يمكن أن يسير الا بصورة تدريجية وبطيئة ، لأن طبقات الأطلال حول البناء رقم (١) يبلغ ارتفاعها عدة أمتار وهي معقدة في تكوينها ، وهناك منشآت من الطوب الكبير الأحمر تتزاحم من كل الجهات حول هذا البناء ، لذلك فإن المساحات التي كشف عنها مازالت ضئيلة بالنسبة الى مجموع البناء ، الا إنه في الجهة الشمالية من البناء قد تم الحصول على جملة من النتائج ربما تكون ذات أهمية في سبيل ايضاح المشكلة .

تحت طبقة التراب الزراعية العليا وجدت على شيء من العمق بقايا جدران بسيطة كانت لها علاقة بمنشئات الأفران المسماة بالتنانير . ويبدو أنها ترجع الى حقبة سكن متأخرة من الألف الثانية قبل الميلاد ، فإن بعض البقايا القليلة من الخزف مثل الأواني ذات الأرجل المدورة المميزة لآشور الوسطى ، التي وجدت نماذج منها في «تل خويرة» ، تبرهن على ان التل كان مسكوناً حوالي سنة (١٥٠٠) قبل الميلاد ، وإن لم يكن على مقياس واسع كما في السابق . وهناك رصيفاً من الآجر ملتصق بالبناء الحجري رقم (١) من جهة الشمال يقع في طبقة أكثر عمقاً وأقدم عهداً . والى الحقبة نفسها يرجع ، كما يبدو ، مكان صغير قائم إلى الغرب من الرصيف قد طليت بالجص جدرانه الثخينة المصنوعة من الآجر الكبير نفسه . وهناك مقعد منخفض يمتد حول الجدران (انظر الصورة رقم ١٢) .

وفي الزاوية الشمالية - الغربية وحدها كانت تقوم مائدة للقرابين مصنوعة من الآجر ومطلية بالجص . ولهذه المائدة قسم أمامي بارز يرتكز على عضائد نصف مدورة ؟ وفي الأرض أمام المائدة قد نصبت مبخرة يبلغ ارتفاعها حوالي (٧٠ سم)مصنوعة من الطين المشوي وهي ما زالت في مكانها الأصلي . (انظر الصورة رقم ١٣) ومن المؤسف أنه ينقصها الطرف العلوي ولكننا نستطيع بالفكر أن نتممه مستعينين بجزء مكسور من قطعة مماثلة منقوشة وجد بالقرب من المكان (انظر الصورة رقم ١٤) بينما لا نشاهد على المبخرة القائمة في مكانها سوى نماذج غصون محفورة الى جانب المقاطع المستطيلة فإن القطعة المكسورة ذات النقوش النافرة تحمل صور التنيّن المعروفة في فن النحت السومري _ الآكادي . هذا الحيوان المسمى (مشهش) والذي نعرف عنه أنه ينسب الى مختلف الآلهة السفلية _ الأرضية . وفوق التنيّن كان قد صور الموضوع المقتبس من التقاليد نفسها الذي يمثل الصراع بين الأسد والثور ، ولكن لم يبق من ذلك سوى جزء يشتمل على أسدين متصالبين . وهذه الصورة أيضاً تشير الى الجو الديني نفسه .

من المحتمل أن يكون المكان الصغير مع مائدة القرابين والمبخرة قد قام فوق مكان آخر سابق له لم يكشف عنه بعد . ذلك لأن المبخرة مغروزة على عمق عدة سانتيمترات في الارض المبلطة ، في حين كان يجب في الأصل أن تقوم فوق الأرض ، وحينئذ يمكن أن تكون الطبقة العميقة تابعة للبناء الملاصق الى الغرب الذي توصلت الحفريات حتى الآن الى الكشف عن ثلاث حجرات منه ، إن هذا البناء يتكون من جدران من الطوب يبلغ ثخنها حوالي المتر وعليها طلاء أبيض وتبلغ أبعاد قوالب الطوب (٥٣ × ٢٥ × ١٠) .

إن أهم قسم في هذا البناء هو المكان المربع تقريباً الذي تبلغ مساحته ٤ × ٤ م . والذي ينزل اليه باجتياز درجة واحدة من باب بينه وبين المكان المتضمن مائدة القرابين . (انظر الصورة رقم ١٥) وقد كانت تغطي أرضه طبقة ثخينة ، صلبة من الجص . وفي هذه الطبقة حفرة مستديرة يبلغ قطرها حوالي المتر ليس لها حافة تفصلها عن سطح الأرض . ولا يمكن مشاهدة هذه الترتيبات دون تذكر قرابين الشراب التي تقدم الى الأموات أو الى الآلهة الأرضية ـ السفلية . ولما قمنا بإزالة الأرضية لنتعمق في الحفريات ظهر لنا أن جدران المكان تمتد الى مسافة أعمق مع طلائها الأبيض . وفي عمق حوالي (٥٠) الى (٦٠ سم) تحت مستوى الحفرة برزت بين كتلة الركام أربع مستطيلات من الجص الصلب . (الصورة رقم ١٦) وقد تبين بعد التنظيف أنها عبارة عن طسوت مستطيلة من الجص كانت موضوعة على أرضية ثانية تحت الأرضية ذات الحفرة المستديرة . وكانت الطسوت مقسمة الى أدراج يمكن أن ينتقل شراب القرابين من أحدها الى الآخر . وقد عثر في أحد الطسوت على تمثال امرأة من الطين المشوي (انظر الصورة رقم ١٧) ، وهي نموذج سيء جداً لنوع من التماثيل يكثر خاصة في (تل خويرة) . وفي طست آخر وجدت طاس عميقة . (انظر الصورة رقم ١٨) .

على أن هذه الأرضية أيضاً مع الطسوت الجصية لم تكن الأخيرة التي وصلنا اليها في الحفريات . فقد اصطدمنا على عمق ثلاثة أرباع المتر تقريباً بالأرضية التالية وظهر أن الجدران مازالت تمتد الى تحت مع طلائها الجصي . (انظر الصورة رقم ١٩)

وفي الزاوية الشمالية ـ الغربية من المكان الذي كشفنا عنه وجدنا على الأرض المنحدرة قليلاً ، الى جانب بعض الكسر وجزءٍ من طست عميق ، هيكلاً انسانياً بعظام دقيقة في حالة جيدة . ولابد أن الميت (أو الميتة) كان جالساً قبل حدوث الموت ثم وقع الى الخلف واليد اليسرى على الكتف واليمنى ممدودة . ولم يكن هناك شيء يدل على الدفن أو على تابوت أو مايوضح من متاع مع الأموات .

يبدو لأول وهلة أنه لايمكن الشك في صفة القبر لهذا المكان . ولكن من الصعب أن نتصور كيف دفن الميت ؟ الذي خصص المكان كله له ، في زاوية من مقبرته وهو جالس . ان السؤال عما اذا كان هذا الشخص الرئيسي قد دفن في المكان أو إنما كانت تقدم هنا قرابين الشراب الى الميت لايمكن الإجابة عليه إلا بمتابعة التنقيبات وكذلك السؤال التالي عما إذا كانت هناك علاقة بين بناءِ المقبرة وبين البناء الحجري رقم (١) ومن المؤسف أن الهيكل العظمي قد حطم بيد مجهولة وغطي بالكسر قبل أن يتاح لنا رفعه وحفظه .

ان اللقى الصغيرة في منطقة البناء الحجري رقم (١) لاتختلف في الأساس عن تلك التي وجدت في البناء الخارجي . فالخزف إنما هو من المصنوعات الآكادية نفسها : اقداح ذات قعر مقبب أو مسطح مع عنق قصير وحافة نافرة ومباخر مشقوقة وتماثيل نساء من الطين المشوي ونماذج عجلات من الطين . وهذه اللقى تظهر في عمق قليل على سطح التل ، وكذلك في الطبقات التي يبلغ عمقها عدة أمتار . وقد يبدو غريباً لأول وهلة أن تتفق اللقى في الشكل وطريقة الصناعة ضمن هذه الطبقات المتباعدة ، ولكن الأمر يصبح واضحاً ، مفهوماً اذا تأكد أن هذه الأبنية التي نشأت خلال مدة قصيرة قد أنزلت عن قصد داخل الأرض . وعلى ذلك فإن هذا البناء أيضاً يرجع الى الثلث الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد . الا أنه لايمكن قول شيء تؤكد حول العلاقة الزمنية بينه وبين البناء الحجري .

٣ . - البيوت :

عندما لم يعد من الممكن العمل الا بصورة بطيئة في منطقة البناء الحجري رقم (١) بسبب ضرورة التدقيق في الطبقات رأينا أن ننقل قسماً من عمال الحفريات وأن نستخدمهم خلال الأسابيع الاخيرة في مكان بالجنوب الشرقي من التل والى الجنوب من الهوة الكبيرة ، حيث سبق أن كشف (لوفريه) فيما سماه عملية السبر رقم (٣) عن أبنية من الطوب . وقد عرض في متحف دمشق قبل مدة قصيرة ، الى جانب اللقى الصغيرة من حملة سنة ١٩٥٥ على (تل خويرة) ، عدد من الصور الفوتوغرافية مع نصوص قصيرة للشرح . وبعد انتهاء حملتنا استطعنا أن نشاهد في دمشق رسوم (لوفريه) أيضاً . من كل ذلك يتبين أن المنقب السابق في هذا المكان قد كشف تحت سطح الارض مباشرة على طبقة من الالف الثانية مع رصيف من الحصى ومواقد مستديرة أو مايسمى (مواقد القرابين) . وتحت هذه الطبقة المتأخرة مباشرة عثر (لوفريه) على أبنية قليلة المساحة نسبياً مصنوعة من جدران من الطوب ثخينة ومطلية

بالبياض . إن لون قطع الطوب وقوالبها هي نفسها كما في منطقة البناء الحجري رقم (١) . وعند ذكر هذه المنشآت القديمة ، التي يمكن تمييز حقبتين في بنائها ، يتكلم (لوفريه) عن (حي الصناع) ، وذلك حسبما يبدو بسبب ضيق الامكنة وصعوبة الاحاطة بها .

وقد بدأنا قبل كل شيء بالعمل حسب الإمكان على تنظيف مكان الحفريات القديمة من سنة ١٩٥٥ . وأثناء ذلك ظهر خاتم اسطواني (أنظر الصورة رقم ٢٠) في بقعة لم تكن قد كشفت تماماً ضمن الطبقة الأصلية . وهذا الخاتم مصنوع من الصدف وله تسوير مجوف قليلاً . ويكفي هذا وحده للاستنتاج بأنه يرجع الى العهد الآكادي في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد . إن التصوير ربقى ، بسيط ولا يرقى أبداً الى مستوى فن الحفر الآكادي الجيد . على أن الأسدين المتصالبين في صراعهما مع البطلين يدلان أيضاً ، بما يبدو عليهما من الجمود وقلة المهارة ، على أن التاريخ يرجع الى ما بعد سلالة (اور) الاولى . إن الخاتم كقطعة مرتبطة بالطبقات الأثرية يؤكد إذن رأي (لوفريه) في ارجاع تاريخ الطبقات العميقة من حفرياته الى الألف الثالثة .

وقد ظهر لنا من توسيع الحفريات باديء الأمر نحو الجهة الغربية أننا هنا أيضاً نصطدم بالطبقة العليا المتأخرة من الألف الثانية ؛ الا أنه لم يكن هناك من أثر لأبنية الطوب من الألف الثالثة . إنما عثرنا على هذه الأبنية من جديد عند متابعة الحفريات في الجهة الشرقية حيث استطعنا القيام ببعض المشاهدات التي لها أهمية في فهم هذه المنشآت . ومجموعة الأبنية تنتهي من ناحية الشرق بجدار يمتد من الشمال الى الجنوب ، وهو قد كان قائماً في زقاق ضيق والجدار ينحرف في الجنوب الشرقي بصورة عمودية نحو الجنوب الغربي ويبدو أنه يحيط بكتلة الأبنيه . والمدخل الوحيد إلى مجموعة الأبنية الذي أمكن حتى الآن اكتشافه يقع في القسم الشمالي من الجدار المحيط وذلك في صورة باب ضيق نسبياً وبعتبة مزدوجة . ومن حجرة صغيرة ، طويلة عند الباب ننتقل الى مكان أكبر مستطيل سبق أن كشفت عنه حفريات (لوفريه) والى الجنوب من ذلك تقع الأمكنه والباحات التي كشفنا عنها مؤخراً . ويبدو أن هذه الأمكنة لا صلة بينها وبين حجرة الباب التي ذكرت آنفاً ثم بين المكان الملتصق بها إن الساحة غير المنتظمة والمنعرجة التي فصل عنها فيما بعد مكان مستطيل في الجنوب ، يبدو أنها كانت حوشاً لأنها مبلطة بالحصى الناعم ومن القسم الشمالي من الحوش كان يدخل بواسطة

باب أضيف فيما بعد الى مكان تبلغ مساحته حوالي (٤ × ٦ م) له أرضية من الجص مدت بعناية كما أن فيه مقعداً يمتد حول ثلاثة جدران (أنظر الصورة رقم ٢١) . وفي وسط الجدار الرابع بالجهة الشمالية – الغربية كانت قد بنيت مصطبة كبيرة مستطيلة يصعد اليها على درجة كبيرة من الناحية اليسرى .

إن هذا المكان يشبه تماماً حجرات المعابد الصغيرة التي كشفت عنها الحفريات في منطقة (جالا) مثلاً . وقد وجدت في الشمال الغربي من الحوش حجرة صغيرة الصقت بالمكان يستدل من ترتيباتها الداخلية الخاصة على أنها كانت أيضاً تستخدم للطقوس الدينية . (الصورة رقم ٢٢) فقد أقيم على بعد قليل من الحائط الخلفي في الجهة الشمالية – الغربية جدار منخفض قسم الى جزئين مختلفين بفاصل ضيق في وسطه . وفوق سطح الجدار صنعت عدة أخاديد من الجص على شكل زوارق تصب في أخاديد أخرى من الجص أكثر اتساعاً وأقل عمقاً تقع تحتها ثم إن هذه الأخاديد بدورها تصب في أرضية الجص . إن المائع الذي كان يسيل هنا ويتبع طريقاً معقداً الى هذا الحد لابد أن يكون لعرض القربان . واذا كان لا يمكن معرفة شيء مؤكد الا بعد الانتهاء من الكشف على المنشآت كلها الا أن هناك قرابة تستوعي الأنظار بين ترتيبات البناء الحجري رقم (١) (أنظر الصورة رقم ١٦) وترتيبات حجرة البيت الصغيرة . ثم إن التشابه أعظم بين المائدة لصب شراب القرابين وبين الترتيبات التى أصبحت معروفة في البناء العلوي من مقبرة الملك (شلجي) المشهورة في (اور) . وقد أشار (وولي) في كتابه عن تاريخ اكتشاف (اور) الى أن ترتيبات المجاري في حجرات المقابر كان يقصد منها بالتأكيد تقديم الشراب الى الأموات . ورغم الإختلاف في بعض الجزئيات بين المجاري والأخاديد المذكورة فإننا مضطرون الى التسليم بأن المنشئات في (اور) وفي . تل خويرة كانت تخدم الغرض نفسه . وبذلك يبطل الرأي القائل بأن مجموعة الأبنية عبارة عن حي للصناع .

٤ – اللقى الصغيرة :

كانت اللقى الصغيرة أثناء الحفريات الفرعية عند السور الجنوبي وفي المنطقة الجنوبية –

العربية أغنى وأكبر عدد وأكثر تنوعاً مما في البناء الخارجي وفي منطقة البناء الحجري رقم «١» الا أن طريقة صنعها كلها واحدة مبدئياً ، فمن ناحية الخزف تغلب المصنوعـات الآكادية ـ السومرية الحديثة ، غير الملونة الى جانب نماذج قليلة من الخزف برسوم متموجـة ، مثل التي تبرز أحياناً في « تل براك » أيضا . وأكثر المصنوعات الخزفية عدداً هي أقداح بقعر مقبب « أنظر الصورة رقم ٨ » أو بقاعدة مسطحة . وكثير من الأقداح جدرانها رفيعة جداً وهي حادة التدوير ولها حافة رفيعة . « الصورة رقم ٢٣ »

والتنوع أشد وضوحاً في أشكال عـدد من التحف التي لم تكن على الأرجح تستخدم كألعاب ، بل إنما توضع بصورة رمزية مع الميت في القبر . (انظر الصورة رقم ٢٤) وهي بطبيعة الحال ، مصنوعات يدوية ولكنها تحاول تقليد القوالب المميزة للخزف الآكادي ، كما نشاهـد ذلك عـلى الإناء الصغير ذي الثقب العمـودي المزدوج ، ثم على الكوب ذي الساق الطويلة وعلى الإناء المقبب وقد كانت القوارير الكروية مع التجاويف الأضافية أو بدون تجاويف كثيرة بين الخزف العادي في (تل خويرة) .

وتؤلف التماثيل الصغيرة من الطين المشوي وبالدرجة الأولى تماثيل النساء ونماذج العجلات مجموعة من أكبر المجموعات وأكثرها تنوعاً . والنوع السائد بين تماثيل النساء عبارة عن نموذج امرأة برداء طويل وتسريحة شعر فخمة وحلية محفورة أو ملزقة على العنق . وهي تضع يديها على صدرها ، ولكن ليس لحماية ثدييها ، بل للعبادة أو للتحية (انظر الصورة رقم ١٧) . ويلاحظ أن الوجه الذي ينقصه الذقن والذي لصقت عليه العينان المدورتان ، لم ينل في الغالب العناية الكافية . وصناعة هذه التماثيل قد سبق أن كشف عنها (ماللوفان) في (تل جـدله) على نهر (بليخ) ، كما أن متحف (حلب) قد حصل مؤخراً على عدد كبير من هذه التماثيل الطينية التي جاء بها الباعة ، حسب قولهم ، من منطقة الرقة ، ولما كان (تل خويرة) تابعاً لمنطقة (بليخ) وكانت (الرقة) واقعة عند مصب هذا النهر في الفرات فمن المرجح أن تكون دعوى تجار التحف الأثرية صحيحة .

ولكن بالاضافة الى هذا النوع من التماثيل وجدت على (تل خويرة) تماثيل نسائية أخرى كثيرة ؛ منها مثلاً امرأة بجمة طويلة من الشعر تلبس قميصاً طويلاً مزيناً بدوائر صغيرة (الصورة رقم ٢٥) ؛ ثم إمرأة أخرى لا يستر عورتها سوى إزار ملتصق بجسمها . وهي متقنة الصنع أكثر من النماذج السابقة (انظر الصورة رقم ٢٦) . وأحياناً تظهر تماثيل قد لصقت أيديها على هيئة أجنحة ، كما يعثر على نماذج مسطحة تبدو كأنها أصنام من ألواح خشبية . وفي بعض التماثيل يبدو العنق في شكل غير طبيعي ، وفي قطعة تمثل القسم العلوي من الجسم نشاهد حلية ضخمة على الرأس تشبه العمامة (أنظر الصورة رقم ٢٧) ، ويرجح أن يكون التمثال صورة الآلهة كبيرة .

كذلك تؤلف نماذج العجلات على (تل خويرة) مجموعة من تماثيل الطين المشوية تكاد أن لايقل عدداً عن تماثيل النساء . وتدل الظواهر على أن الأمر لايتعلق بعجلات الحرب ، بل إنما بوسائل النقل . فعلى الرغم من ظهور بعض العجلات بدولابين الا أن أكثر العجلات من ذوات الأربعة دواليب . وأهم قطعة من هذه النماذج هي التي لها قسم علوي مكشوف في الناحية الأمامية ومسقوف في الناحية الخلفية ، (أنظر الصورة رقم ٢٨) .
اذا قدر للتنقيبات على (تل خويرة) أن تجتاز المرحلة الأولية وتستمر في التقدم فربما يمكن يوماً ما أن يفهم لماذا يزيد هنا عدد الأقداح ، وتماثيل النساء من الطين المشوية ، ونماذج العجلات على جميع اللقى الأخرى زيادة كبيرة ، كما إنه ربما يمكن الإجابة على السؤال عما إذا كانت الأنواع الثلاثة من اللقى الصغيرة التي تبدو ، لأول وهلة ، متباينة إنما تخدم الفكرة الأساسية نفسها .

إن قلة عدد اللقى الصغيرة من الزمن المتأخر تعكس لنا تدهور (تل خويرة) الذي لم يعد له كبير أهمية منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . واذا صرفنا النظر عن بعض الأواني من العهد الآشوري المتوسط فإنه لم يعثر في الطبقات العليا من البناء الحجرى رقم (٢) سوى على خنجر من البرونز من النوع الذى يرجع الى العصور الأخيرة من الألف الثانية والتى نعرف نماذج مشابهة له عليها نقوش كتابية ملكية .

وأحدث قطعة اكتشفت على (تل خويرة) عبارة عن خاتم اسطواني من العهد الآشوري المتأخر ، مصنوع من حجر الحية الأخضر - الأشهب عثر عليه بالأرض الزراعية الحديثة في منطقة البناء الخارجي تحت سطح الأرض مباشرة . وهو يمثل منظراً حربياً قد حفر حسب الأسلوب السطحي المألوف في القرنين (٩ – ٨) قبل الميلاد . فنشاهد فارساً آشورياً يطارد رماة الأسهم من الأعداء المنهوكين ، المنهزمين الذين أخذ نسر ينقض عليهم . وهذا الخاتم قريب في موضوعه أيضا من آثار الفن على عهد (آشور ناصر بال) في مدينة (نمرود . كلخ) ...

